

أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم زوجته السيدة خديجة، ومن الصبيان الإمام عليّ - الذي كان يعيش في كنفه - ومن الخدم زيدٌ - الذي كان يعيش في كنفه أيضاً - وبلغ به الاقتناع بالدعوة أن جاء أهله - أبوه وأخوته - ليحرّروه من العبودية، ولكنه رفض أن يذهب معهم متأثراً بعيشة الحبيب وأخلاق الحبيب، وكان ذلك قبل الدعوة الحمديّة. فأول من يؤمن بالرجل أهله وذووه، لماذا؟ ليعينوه على طاعة الله وعلى أداء رسالة الله.

كثير من الدعاة في بداية الدعوة يأخذون أسلوب الشدة، والشدة تكون أشد على من حوله - كزوجته وأولاده - فينفروا من الدعوة!! وهو يرى أن هذا منفعه!! وهو ليس كذلك. لأنهم حتى لو هادنوه وجاملوه، فإنهم في الحقيقة غير مقتنعين، وهذه مصيبة نراها في كثير ممن يدعون الدعوة إلى الله عز وجل.

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على سنة أبيه إبراهيم، إبراهيم عليه السلام أسس حياة عائلته على تقوى الله وعلى طاعة الله، حتى أن زوجته - التي كانت ابنة عمه وكانت محببة لديه - لما وجدت أنها لا تنجب، وأنه يشقاق إلى الولد، هي التي حبّبت إليه الزواج من جاريتها. البعض يأخذ الرواية اليهودية أنها غارت منها وأمرته أن يذهب بها إلى مكة، من التي تأمر إبراهيم؟!!! إبراهيم لا يأتمر إلا بأمر الله، والحديث واضح، وفيه روايات كثيرة صحيحة، ونحن لا نروها هنا بالنص - ولكن نروي القصة مجمعة للبيان:

فعندما ذهب بزوجه وابنها ووضعهما هناك، قالت له: يا إبراهيم لمن تتركنا ههنا؟ فلم يجبها! قالت: أالله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا - وانظر إلى التربية الإيمانية، فهي قد عرفت أنه أمر من الله، لأن كلامهم ليس فيه تدليس ولا خداع ولا نفاق، ولكن كلامهم صدق عن صدق - ولما نفذ الماء والزاد وجاء الملك، ونبعت عين زمزم قال: يا أمة الله لا تخشى الضيعة، فإن لله بيتاً في هذا الموضع سيبنيه هذا الغلام وأبوه. فعرفت هنا الحكمة من مجيئها!! وليس غيراً كما يدعى اليهود.

أما الإبن فعندما قال له أبوه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٢ الصافات)، بل هو الذي أشار عليه بكيفية تنفيذ الذبح، حتى أن أباه امتدحه وقال له: نعم العون أنت لأبيك لتنفيذ أمر الله يا بُنَيَّ.

## الدعوة بالرفق واللين

هذه هي التي نريدها!! نريد أن يكون الإبن نعم العون لأبيه على تبليغ دعوة الله، والإبنة نعم العون لأبيها على تبليغ دعوة الله، والزوجة تكون نعم الزوجة المعينة لزوجها على تبليغ دعوة الله. كيف؟ دعوة الله أساسها الرفق، قال صلى الله عليه وسلم: { ما دخل الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه }<sup>١</sup>، وفي رواية: { وما دخل الخرق في شيء إلا شانه }.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١٥٩ آل عمران). فِيمَ كانت دعوته؟ بالرحمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (١٥٩ آل عمران).

إذاً الداعي يحتاج قبل العلم إلى الرحمة بمن حوله أولاً، لا بد أن يرحمهم حتى يجبوه ويقبلوا عليه ويطيعوه - عن اقتناع وعن برهان. لكن إذا كان الداعي في الخارج فصيح اللسان، وينطق بكلام يعجب الحضور، ولكن تشتكى زوجته من معاملته، هل سيثقون في كلامها أم كلامه؟ بالطبع كلامها هي لأنها هي التي تعيش معه.

<sup>١</sup> رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها،

إدأ لا بد أن نأخذ الأسوة الحسنة - من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أبا الأنبياء - بأن نبدأ الدعوة بالرفق، واللين، والرحمة، للزوجة وللأبناء ليعاونونا على تبليغ رسالة الله، وعلى العمل الموصل إلى مراد الله عز وجل، وذلك حتى كما كان يقول لنا شيخنا الشيخ محمد على سلامة رضي الله عنه: لو جاء ضيف تخدمه بمحبة، فيكون لها نصيب في الأجر والثواب. لكن لو خدمته خوفاً منك أو لإرضائك و فقط ، حرمتها أنت من جزيل ثواب العمل لله!

أنا أريدها عندما تعمل العمل تكون مقتنعة، حتى تأخذ الأجر والثواب. كيف؟ بالمحبة، والرفق، واللين. ومنهج الرفق واللين يجعل الداعي إلى الله مثل حبيب الله ومصطفاه.

## موطن العزيمة الصحيح

بعض الإخوان حتى يجاهد نفسه، يأخذ نفسه بالشدّة في جهادها، بالزهد والتقشف فيشدد على أهل بيته. وما دخلهم في ذلك؟! أنت شدد على نفسك! ولكن لا تشدد على هؤلاء، قال صلى الله عليه وسلم وافقهوا الحديث وعوه: {المؤمن يأكل بشهوة عياله، والمنافق بشهوة نفسه} <sup>٢</sup>، فيأكل ما يريد أولاده!! فإذا أمسكت عن ولدك فإنه سيكرهك ولن يقبل منك قليلاً ولا كثيراً، فلا تسيره على مسيرتك. إذا أردت أن تصلى القيام عليك أن تحببه في صلاة القيام، بأن تذكر له فوائدها ومنافعها.

هل يقبل الله عزّ وجلّ منهم صلاة القيام إذا قاموا لها وهم مكرهين ليرضوك؟! ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩ يونس)، ولكن أنا أصلى القيام وكل واحد كما يريد. حضرة النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى القيام، وزوجاته كان يترك لهن مطلق الحرية، هل كان يجبر إحداهن على صلاة القيام؟ لا، لأنها نفل. بل أنه ورد أن عائشة لما صلت القيام وراءه ليلة خفف الصلاة، وأمرها أن تصلى طاقتها لا أكثر <sup>٣</sup>.

إذا أردت أن تصوم هل تجبرهم على صيام النوافل؟ لا، ولكن حببهم، والذي يصوم له أجره وثوابه، والذي يفطر لا تحاربه ولا تعترض عليه، ولا تعنّفه ولا تؤذيه. هل هذه فريضة؟ لا، إنها نافلة، وكل الذي على أن أحبب فيها فقط، لكن هل أسوق الناس عليها؟ لا!!، ولكن أسوق الناس على الفرائض، فأوقظه ليصلى الفجر، وأوبخه إذا ترك صلاة الفجر حتى مطلع الشمس لأنها فريضة.

أنا قوى، وحكمت على نفسي أن أفطر على ماء، ثم أصلى المغرب في المسجد - وربما أتقابل مع هذا أو ذاك وأتحدث معه - وأقول لهم: لا تأكلوا حتى أحضر، أيجوز ذلك؟! لا، لكن الواجب في ذلك العمل: أن نرحم ضعفهم وطاقتهم، وأن نعلم أن في ذلك الخير الكثير من الله لقوله صلى الله عليه وسلم: {ابغوني في ضعفائكم، فإنما ترزقون وتُنصرون بضعفائكم} <sup>٤</sup>.

فإذا كانوا هم ضعفاء لا يستطيعون أن يصلوا المغرب أولاً، على أن أفطر معهم، وأشجعهم، وأعلمهم آداب الفطور، وآداب الطعام، ثم أصلى المغرب، ولّى فسحة ولّى مندوحة في سنة المصطفى لأنه فعل هذا وذاك.

فآفة الدعاة - والتي تجعل الأهل ينفرون منهم - أنه يريد أن يشدد عليهم مع تشديده على نفسه، ولم يكن هكذا صلى الله عليه وسلم، و لكن كان هديه أنه يأخذ نفسه بالعزائم، ولكن يأمر غيره بالرخص، وهكذا جمع القلوب!!

فيا حبذا لو حرص الإنسان على رحمة أهله وذويه عندما يرى مشقتهم، فإنهم سيسعدوا بك. مثلاً إذا كان ابنك اعتاد على صيام يومى الإثنين والخميس، وحضر الامتحان، فأمرته أن يفطر.. فإنه سيفرح بك لأنك تيسر له، إنها نافلة والنافلة له فيها الخيار، يقول فيها صلى الله عليه وسلم: {الصائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء صام وإن شاء أفطر} <sup>٥</sup>. إنها ليست فريضة، إذا صمت ثم جاء سفرٌ عارضٌ فجأة وهذا السفر طويل! ليس على شئ إذا أفطرت.

## وسطية الدعوة

<sup>٢</sup> رواه الدليمي في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً - المقاصد الحسنة للسخاوي.

<sup>٣</sup> روى الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت: {رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ذات ليلة فغمث خلفه، فصليت بصلاته، فلما جلس خفف في قيامه، وصلى ركعتين خفيفتين، ثم سلم، ثم قام فصلى ركعتين، ثم سلم، فبسمي السلام، ثم التفت إلي فقال: «إكفني من العمل ما تطيقين» يقولها ثلاثاً}.

<sup>٤</sup> رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>٥</sup> أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن غير ابن ماجه والحاكم عن أم هانئ رضي الله عنها

فإذا أراد أن يشدد فليكن على نفسه! لا على أهله، وحتى على نفسه فقط، فليسمع قول الحبيب صلى الله عليه وسلم والذي دائماً مصيب وما ينطق عن الهوى: **{ رَوْحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَإِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا كَلَّتْ عَمِيَتْ }**<sup>٦</sup>، فلو شددت على نفسك باستمرار فإن نفسك ستباعدك عن طريق الله عز وجل لأنك ستأخذ طريق التشدد، وطريق التشدد ليس بالمنهج الذي ارتضاه الله ورسوله، ارتضى لنا الله ورسوله المنهج الذي قال فيه عز وجل: **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }** (البقرة: ١٤٣). فالوسطية في كل أمر محمودة، والتشدد في كل أمر مذموم، والتساهل في كل أمر مذموم، فنحن نحتاج إلى الوسطية في كل أحوالنا.

كان صلى الله عليه وسلم لا يحبُّ اللهو، لكنه كان يسمح لزوجاته باللهو، روت السيدة عائشة رضی الله عنها قالت: **{ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْتَبَانِ بِعِنَاءِ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «دَعُهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجْنَا. وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ }**<sup>٧</sup>.

وفي مرة سأل عائشة إن كانت تحب أن تشاهد الحبشة وهم يلعبون بالحراب والعصى في المسجد، فأجبت ذلك ووقفت تفرج من ورائه - مستندة على كتفه، وخدّها على خدّه - وهم يلعبون وقال: **{ لَتَعْلَمَ يَهُودُ أَنْ فِي دِينِنَا فُسْحَةٌ، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَقِيقَةٍ سَمْحَةٍ }**<sup>٨</sup>.

ويبقى صلى الله عليه وسلم ولا يتحرك حتى تقول له: كفاك يا رسول الله، يقول: زيدي يا عائشة، تقول: كفى يا رسول الله. وهكذا كانت الحضرة المحمدية!! ليس كما يفعل البعض بأن يحبس زوجته في البيت، لماذا؟ لأن الله قال: **{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }** (الأحزاب: ٣٣) فلا يُخرج زوجته من البيت!! أهذا يصح؟!.

يجب عليه أن يُرَوِّحَ عنها بتبادل الزيارات، أو زيارة الصالحين الأحياء أو المنتقلين، أو زيارة بعض الأماكن التي تُرَوِّحُ عنها، مثل شاطئ بحر، أو منتزه، ويجلسا جلسة شرعية عائلية تشاهد وجه الله في الزرع، قال صلى الله عليه: **{ ثلاثة يجلين البصر الماء والحضرة والوجه الحسن }**<sup>٩</sup>. وهذا الحديث بالطبع له معانٍ ذوقية غير المعاني الظاهرة. ومنها: فالماء هو ماء التوحيد: **{ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ }** (الأنبياء: ٣٠)، عندما يشهد توحيد الله أو سرَّ الله الساري في الكائنات يذهب عنه الحزن - كما ورد في روايات أخرى، والحضرة حضرة الجنة، والوجه الحسن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه حقيقة معناه ولكن مغزاه الظاهر واضح، كلنا عندما نذهب إلى مكان فيه حضرة وزرع يذهب عنا الهم، ويفرج عنا الهم.

فلا بد للإنسان أن يمشى على الحياة الوسطية التي كان عليها النبي العدنان صلى الله عليه وسلم، وكان ولا زال عليها الصالحون في كل وقت وآن. أنت رجل زاهد فتحت الله عليك باباً من أبواب الزهد ولا تريد أن تأكل شيئاً أبداً، هل الذين معك يتحملون ذلك؟! إذا كان فتحك في هذا الباب يجب أن تتركهم يأكلون، قال الإمام علي رضي الله عنه: **{ لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم، فإن لهم زماناً غير زمانكم }**.

أنت زاهد وتريد أن تترك المواصلات، وتري أن ركوب السيارة من الكماليات ولا داعي لها!! ولكن معك

<sup>٦</sup> العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي

<sup>٧</sup> صحيح مسلم عن عائشة رضی الله عنها

<sup>٨</sup> مسند الإمام أحمد، عن عائشة رضی الله عنها

<sup>٩</sup> عن أبي سعيد الخدري، إختلاف الحديث للشافعي.

المال، يجب عليك أن تأتي لهم بسيارة تحفظهم فيها من مشاكل المواصلات العامة التي يعيش فيها الناس في كل وقت وحين، فلم تصبح السيارة كمالية لمن يملك اقتناءها ببسر، بل هي ضرورية، فلا تحكم عليهم أن يعيشوا مثلك!!

أنت ترى أن من كمال الزهد أن يكون عندك بدلة واحدة للشتاء! وبدلة واحدة للصيف! لكن مالابنك ولهذا الزهد! إنه شباب!! ويريد أن ينوع، ويعلم أنك يمكنك أن تشتري!! هذا في الحقيقة ليس زهد العارفين، ولكنه زهد الزاهدين!! لأن العارفين زهدهم يقولون فيه: { لو ملكتك الله الدنيا من أولها إلى آخرها وزهدت فيها، في أى شئ زهدت؟ فيما لا يساوى جناح بعوضة }!! كل متاع الدنيا من أوله إلى آخره ماذا قال فيه الجليل: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (النساء، ٧٧) إذا أنت زهدت في قليل!!

ولكن ما حقيقة الزهد؟ أن يزهّد قَلْبُكَ فيما سوى الله، فلا تُحْضِرُ فيه إلا أنوار مولاك، ولا يخطر فيه إلا خاطرة تأتيك من الله أو من حبيب الله ومصطفاه. هذه هي حقيقة الزهد!! لكن الزهد في الفاني! ماذا يعني؟ الزهد في التفاح مثلاً!! التفاح مثله مثل الخبز عندما يدخل البطن، هل هناك فرق بينه وبين غيره؟ لكن كل الموضوع هو النظرة التي وراءها تعلق القلب، إذا كان متعلقاً بهذا أو متعلقاً بذاك، علق بقلبك مولاك:

ولا تُعَلِّقْ بِالْقَلْبِ غَيْرَ إِلَهٍ قَدْ تَجَلَّى فِي الْعَالَمِينَ غُلَاهُ

فكل ما شئت! والبس ما شئت! وافترش ما شئت! ما دام من حلال، تشكر الله عليه، وتؤدي حقه فيه. الذين يُحْرِمُونَ على أنفسهم الطيبات هم الزهاد!! وهؤلاء ليسوا من العارفين، فإنه يزهد في الدنيا من أجل الآخرة!! لكن العارفين يزهدون في الدنيا والآخرة، لأنهم يريدون خالق الدنيا والآخرة، لا يريدون إلا وجهه!! فالدنيا كون!! والآخرة كون!! فهل أزهد في كون من أجل كون؟! ما الفائدة؟! لكني أزهد في الكونين رغبة في مكون الأكوان عز وجل، فهذه هي حقيقة الزهد.

هذه الأشياء تنتاب كثيراً من الذين يتعرضون لدعوة الله عز وجل، ولذلك نجد كثيراً من المشاكل بينهم وبين ذويهم وأهلهم، وتجدهم لا يحبون وجوده بينهم، لأنه كاتم لأنفاسهم، وسجان عليهم، ومعه نعم الله ولا يريد أن يتمتع بها، ويرضى بالدون في الدنيا! والمؤمن لا يرضى بالدون في الدنيا ويطلب الأعرز في الآخرة، فالمؤمن لا يرضى إلا بأعز الأشياء في الكون وفي الجنة وعند الله عز وجل، لقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ﴾<sup>١٠</sup>.

ففي أمر السيارة مثلاً: إذا اقتنع بشرائها ومعه مال وفير ليشتري سيارة جديدة، تجده يبحث عن سيارة مستهلكة!! ويعتبر هذا إسرافاً وإتلافاً!! ما دام أعطاك الله! لماذا تحرم نفسك المتع الحلال التي أباحها لك الله!! كل الموضوع أن تجعل في كل عمل تعمله نصيباً لله، بأن توجد نية طيبة قبل شرائها لاستخدامها لله عز وجل، واشتر كما تريد.

لكن أنت الحاكم! عليك أنك تشتري لنفسك لأن الزاهد مهتم بنفسه، لكن العارف مشغول بربه، وكل الذي يعمله ويجهزه إنما لربه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (الأعراف).

فإذا جهز بيته فلضيوف الله، وإذا جهز طعاماً فلضيوف الله!! سيدنا إبراهيم لما جاءه ضيفان ذبح لهما عجلًا

سميناً!! هل أسرف؟! هل عاتبه الله على ذلك؟! أبدأ، ورد في الأثر { لا سرف في الخير }<sup>١١</sup>.

### منهج الدعوة الحكيمة

فالداعي إلى الله على بصيرة.. أول استخدامه لحكمة وبصيرة الدعوة يجب أن تكون مع أهله!! ولذلك نحن نحكم على الداعي من تعامله مع أهله!! إذا كان أولاده نافرين وزوجته بعيدة عنه وعن طريقه بُعد المشركين، نعرف أنه ليس معه حكمة الدعوة، ولا عنده بصيرة!!

إذا لم يستطع أن يؤلف من حوله كيف يؤلف غيره؟! وهذا شأن مشهود، لكن سيؤلف من حوله ويجعلهم يحبون الله ورسوله أكثر من حبهم لأنفسهم، فمثل هذا لو بنى الدعوة سببها على أساس متين، لأن الناس دائماً تُعلّق نظرها على الداعي ومن حوله. فلو كان فصيحاً وبلغياً يقول البعض: ننظر إلى فعله، وننظر إلى زوجه، وننظر إلى أبنائه إذا كانوا ناهجين نهجه فهو صادق، وإن كانوا غير ذلك.. إذاً هو يقول كلام من اللسان!! والكلام من اللسان لا يتجاوز الآذان.

إذن أول أسوة نأخذها من خليل الله، ومن حبيبنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله للذي طلب منه إذناً بالدعوة: { **إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ؛ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ** }<sup>١٢</sup>، وفي الأثر المشهور: { ادع نفسك، فإن استجابت فادع غيرك }.

هذه هي كيفية الدعوة السديدة، والطريقة الرشيدة، بالحجة والبرهان، أو بالحنة وهي الأعظم في النفع وفي التقرب إلى حضرة الرحمن عز وجل.

هذه وصية أوصى بها نفسي وإخواني، لأن دعوة الله ورسوله تحتاج إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وقال الله في الداعي الحكيم الذي أرسل إليه موسى نبيّه الكليم للتعليم: { **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا** } أولاً، ثم: { **وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** } (الكهف: ٦٥). إذاً الرحمة أولاً أم العلم؟ الرحمة أولاً ثم العلم بعد ذلك، لأن الرحمة يقول فيها إمام الرحمة: { **جَبَلَتْ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا** }<sup>١٣</sup>. وأنت كأب في مقام الإحسان لا بد أن يشعروا بحنانك ورقتك، ورأفتك ورحمتك، وشفقتك وعطفك، لكن إذا كنت تربهم الوجه المتجهم، والعصا الغليظة، والكلام الشديد كيف يحبونك؟! من الممكن أن يبقوا معك حتى تحين لهم الفرصة ليتخلصوا!! ثم لا يعرفونك بعدها، ولذلك نرى كثيراً من إخواننا أولادهم ليسوا معنا، أين أولادهم؟ في طريق آخر لأنه لا يريد الطريق الذي مشى فيه أبوه!! لأنه لم يتابع رسول الله، ولم يمش على المنهج الذي ارتضاه الله للحكماء والعرفاء والصالحين من عباد الله جل في علاه.

بل قد يكون البعض يعامل الخلق بالأدب الجمّ، والدوق الرفيع، والكلام البديع، فإذا ذهب إلى المنزل فكأنه وحشٌ كاسر!! فاللسان يخرج ألفاظاً لا تليق، ويصدر منه أفعالاً لا ينبغي أن تصدر منه!! فيسقط من عين أولاده وزوجه كداعٍ، فهو أب على عنته، لكن كداعٍ فهو غير مقبول القول، وغير صالح للإقتداء.

### مسئولية الداعي نحو أسرته

<sup>١١</sup> تفسير تنوير الأذهان وتفسير حقى لإسماعيل البروسوى عن بعضهم.

<sup>١٢</sup> رواه الطبراني عن حكيم بن حزام، ورواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>١٣</sup> ابن مسعود (تخذيب الكمال).



إذاً يجب على الإنسان أن يكون على المنهج الوسطى الذى كان عليه النبيُّ العدنان صلى الله عليه وسلم. البعض يمشى عكس ذلك تماماً!! فيترك لهم الحبل على الغارب!! ويتركهم على هواهم يفعلون ما يريدون بدون ضابط ولا رابط، ولا محاسبة!! هذا لا يصلح، أنا أتركهم يعملون ما دام على شرع الله، وعلى منهج حبيب الله: {كُلِّمَ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : فالإمام راعٍ وهو مسؤُولٌ عن رعيته، والرجُلُ في أهله راعٍ وهو مسؤُولٌ عن رعيته، والمرأة في بيتِ زوجها راعيةٌ وهي مسؤولةٌ عن رعيّتها، والخادمُ في مالِ سيِّده راعٍ وهو مسؤُولٌ عن رعيّته. قال: فسمعتُ هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسبُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم. قال: والرجُلُ في مالِ أبيه راعٍ وهو مسؤُولٌ عن رعيّته، فكُلِّمَ راعٍ، وكُلِّمَ مسؤُولٌ عن رعيّته} <sup>١٤</sup>.

فإذا حادوا عن الشرع، كأن تركت الزوجة الصلاة، هل أتركها على هواها؟ لا، لا بد أن يكون هناك موقف شرعى معها بالنصيحة أولاً بالطريقة الصحيحة ثم الهجر، وأحضر لها بعض العلماء ليَعْظُوهَا .

ابني انحرَف عن الطريق السوى إذاً لا توجد رعاية منى له، لأن عيني دائماً على ابني، وإذا كنت من الحكماء فتكون عيني على أصدقاء ابني، لأن الابن في هذا الزمان مرهون بأصدقائه، لا يفعل إلا ما تأمره به الشلة، أنت تقول له ما تقول وهو ينفذ كلام الشلة. إذاً أنا أكون معه من البداية لأعينه على اختيار الصديق الصالح الوفي، ولا أترك له الحبل على الغارب إلا بعد الزواج، كما في الأثر: {لأعبه سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم زوجه، وألق له الحبل على الغارب}، وفي الحديث: {زَوْجُهُ أَبُوهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: قَدْ أَدَّبْتُكَ وَعَلَّمْتُكَ وَأَنْكَحْتُكَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فَتْنَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَعَدَابِكَ فِي الآخِرَةِ} <sup>١٥</sup>.

لكن هل ألقى له الحبل على الغارب وهو طفل صغير!! لا، وهو شاب فتى؟ لا، كثير من الآباء في هذا الزمان يظنون أن كل ما عليهم، وما هم مكلفون به، هو إحضار الطلبات التي يطلبها الغلام، وليس له دخل بسلوكه!!! ماذا أعمل إذن؟ قال صلى الله عليه وسلم: {أَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: حُبِّ نَبِيِّكُمْ، وَحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ} <sup>١٦</sup>، هذا هو الواجب على. كأن آخذه وأزور معه آل البيت، وأعرفه بهم سواء أحياءً أو منتقلين، لكن إذا تركته فإنه سيذهب في طريق وأنا في طريق آخر.

إذاً يجب على أن أشده - مادام لي ولاية عليه - إلى حُبِّ الصالحين أحياءً ومنتقلين وحبِّ سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم.

بعض الناس يفرح عندما يتفوق ابنه في الدنيا في دراسته مثلاً ويتركه وشأنه، لا يجب ذلك، فإذا كان متفوقاً في دراسته أنا أريده أن يكون متفوقاً أيضاً في فراسته، ليكون له فِرَاسَةٌ يتخير بها الأمور - ولا يخضع فيها للمتشابهات - ويفرق بها بين الحلال والحرام، ويفرق بها بين الذنوب والمعاصي والآثام، ويفرق بها بين الخِلال والإخوان، كيف؟ بأن يكون معي في حُبِّ الصالحين وحبِّ آل بيت رسول الله أجمعين.

فالمسئولية تحتاج إلى الوسطية التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: {وَسَطاً فَكُنْ يَا طَالِبَ الإِقْبَالِ}، فلا يكون الإنسان شحيحاً على أهله ولا مسرفاً في الإنفاق على أهله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧ الفرقان). لا يكون الإنسان قاسياً جداً على أهله! ولا متساهلاً جداً مع أهله!

<sup>١٤</sup> صحيح البخارى وعن ابن عمر رضي الله عنهما.

<sup>١٥</sup> عن أنس رضي الله عنه، تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث، وغيره

<sup>١٦</sup> عبد الكريم الشيرازي في فوائده، وابن التَّجَار عن عَلِيِّ، جامع المسانيد والمراسيل

---

لكن يكون على الوسطية المحمدية في كل أحواله، ويحرص - قبل ذلك وبعد ذلك وأثناء ذلك - أن تكون عينه  
ترعى أولاده الرعاية الإسلامية على الدوام.

\*\*\*\*\*